

الصوم

ميمر للقديس باسيليوس الكبير
(يقرأ نهار الجمعة السابق لرفع الجبن)

■ المقدمة :

« انفخوا في رأس الشهر بالبرق وفي يوم احتفال عيدكم الكبير » (مز ٨٠: ٤). هذا أمر نبوي . أما بالنسبة لنا ، فان مقاطع إشعيا التالية تنبئ بعيد الأيام المقبلة بصوت يفوق كل بوق من حيث قوته وكل آلة موسيقية من حيث خاصيتها - هذه الأقوال تدع جانباً الصوم اليهودي وتُظهر لنا الصوم الحقيقي على طريقتة القويمة : « عندما تصومون أنظروا ألا تكونوا في خصومة أو مشاجرة مع الناس الآخرين ، بل اجعلوا حذاً لكل ظلم طارئ » (إش ٥٨: ٤-٦) . أما الرب يسوع فيقول : « متى صمتتم فلا تكونوا عابسين .. أما أنت فاغسل وجهك وادهن رأسك » (متى ٦: ١٦-١٧) . لأنه لا يكمل أحد ولا يحوز على راية الظفر ان كان وجهه عابساً أو قائماً .

لا تكونوا عابسين وأنتم تستعيدون صحتكم . فإنه لا بد لنا أن نتهلل لصحة نفسنا ، ولا مجال للحزن بسبب تبدل الطعام وكأننا نؤثر ملذات البطن على منفعة نفسنا ، لأن الشبع يقف إحسانه عند حدود البطن ، أما الريح الناتج عن الصوم فهو ينفذ إلى النفس . كن فرحاً لأنك أعطيت من قبل طبيبك دواء ينزع الخطايا . لا تبدل وجهك كما يفعل المراهون . إن الوجه يتبدل عندما يظلم الداخل مع التظاهر الخارجي ، وكأنه مخفي وراء ستار كاذب .

المراثي هو الذي يكون له على المسرح وجه آخر . يرتدي قناع السيد وهو في الحقيقة عبد . يلبس قناع الملك وهو في الحقيقة من عامة الناس . هكذا أيضاً في الحياة الحاضرة ، كثيرون يتظاهرون وكأنهم على المسرح . يكونون على شيء في عمق القلب ويتظاهرون بوجه آخر أمام الناس . أما أنت فلا تبدل وجهك . كما أنت هكذا أظهر للآخرين . لا تبدل مظهرك عابساً ساعياً وراء الشهرة عن طريق التظاهر بالصوم والإمساك ، لأنه لا نفع للإحسان الذي يطيل له ، ولا ثمر للصوم الذي يشهر أمام الناس ، أي كل ما يقوم به الانسان بغية التظاهر أمام الآخرين لا ينفذ إلى الدهر الآتي ولا يتخطى حدّه مدح الناس .

أسرع بفرح إلى هبات الصوم . إنه هبة قديمة العهد لا تمتق ولا تشيخ ، بل تتجدد وتزهر على الدوام .

■ تاريخ الصوم :

ربما تظن أنني سأعيد قدم الصوم الى مرحلة الناموس الموسوي . الصوم هو أقدم من ناموس موسى . ومع قليل من الصبر سنتقنح من كلامي هذا . لا يخطر ببالك الظن بأن بداية الصوم تعود إلى يوم الكفارة الذي حُدّد لإسرائيل في العاشر من الشهر السابع (لاويون ٢٣: ٢٧) . هلمّ تقدم اكثر في التاريخ وأبحث عن قدمه . فإن نظام الصوم لم يُبتكر في الأزمنة الحديثة . ان هذه الجوهرة هي من ميراث آباؤنا . كل شيء يتميز بقدمه جدير بالاحترام والاجلال . فاحترم اذاً رأسه الشاحب . الصوم هو من عمر الانسانية نفسها . لقد سُرع له في الفردوس . ان آدم هو الذي تقبل الوصية الأولى للصوم « من ثمر شجرة معرفة الخير والشر لا تأكل » (تكوين ٢: ١٧) . العبارة « لا تأكل » ما هي الا شريعة صوم وإمساك .

لو أن حواء لم تأكل من ثمر العود لما كنا بحاجة إلى الصوم الحاضر . « لأن الأصحاء لا يحتاجون إلى طبيب بل المرضى » (متى ٩: ١٢) . لقد ترتب علينا كثير من الشرور بسبب خطايانا ، فلنعالجها اذاً عن طريق التوبة . لكن التوبة

بدون صوم لا تأتي بثمر. «ان الأرض ملعونة بسببك وسوف تثبت شوكتاً وحسكاً» (تك ٣: ١٧-١٨). لقد تسلمت وصية التعرف ضمن حدود ولم تعط أن تستسلم للمذات الجسد. حسابك لله يكون عن طريق الصوم. إن العيش في الفردوس يعكس صورة الصوم، لا لأن الانسان كان يشبهه بالملائكة عن طريق القناعة، بل أيضاً لأنه لم يكن ليُعرف في الفردوس كل ما ابتكره الناس بعد ذلك من شرب خمر وذبائح حيوانية وكل ما يعكر صفو ذهن الإنسان.

لقد طردنا من الفردوس لأننا لم نصم. فلنصم إذا حتى نعود إليه. ألم تر كيف أن الفقير لعازر دخل الفردوس عن طريق الصوم (لوقا ١٦)؟ لا تشبهه بمعصية حواء وتبوع مشورة الحية. لا تتحجج بالمرض الجسدي. إن هذا التعلل لا يتوجه إلي بل إلى ذلك الذي يعرف حقائق الأمور بالضبط. تقول لي لا أستطيع أن أصوم، لكنك تقدر على اشباع البطن طيلة عمرك وعلى إجهاد جسدك بثقل المأكّل التي تتناولها. انني أعلم من جهتي أن الأطباء يصفون الصوم دواء للمرضى، لا كثرة المأكّل. كيف تقدر من جهة على إشباع البطن تدعي من جهة أخرى انك لا تقدر على الصوم؟ ما هو الأسهل بالنسبة للبطن؟ أن تمضي الليل هادئاً، مع قليل من الطعام، أم ان تستلقي على الفراش مثقلاً بكثرة المأكّل؟ أو قل بالأحرى ان تتقلب متنهداً ومواجهاً خطر القيء من كثرة الأطعمة؟ أو أنك تريد أن تقنعني أنه أسهل على البحارة أن ينقذوا من الفرق مركباً مثقلاً بالحمولة من أن يتشلوا مركباً قليل الحمولة وخفيفاً. هذا لأن المركب الثقيل ما إن ترفعه الأمواج قليلاً حتى يشرف على الغرق، بينما يسهل على المركب الخفيف أن يتجاوز العاصفة لأنه لا يصعب عليه ان يرتفع فوق الأمواج.

وان الأجساد التي تتقل بالأطمة بصورة متواصلة معرضة أكثر للأمراض إلا أننا عندما نتناول طعاماً خفيفاً متوازناً، نتجنّب شر المرض كما يتجنّب المركب الخفيف العاصفة وينجو... الأ إذا اعتبرت، حسب رأيك، أن الاستراحة أضمن من الركض والهدوء أشد من العراك. فاذا صح قولك هذا يكون أفضل

للمرضى أن ينتفخوا بالماكل بدل أن يكتفوا بالطعام الخفيف . طعام بسيط يسد حاجة كل حي للغذاء أفضل من مأككل كثير يثقله ، لأنه مع كثرة الأطعمة تتعكر عملية التغذية بدخول أمراض متنوعة .

ولكن لتتقدم في تاريخ الصوم ونتقصّر قدم تشريعه . كيف تقبله القديسون جميعاً كميراث آباي وما رسوه بدقة مسلمين إياه من أب إلى ابنه إلى ان وصلنا بالتسلسل . لم يُعرف الخمر في الفردوس (كما ذكرنا) ولا الذبائح الحيوانية ولا أكل اللحوم . لقد عرف الخمر واللحم بعد الطوفان لأنه اوصي عند ذلك « بأكل كل حي يدب كيقول العشب » (تك ٩: ٣) . عندما يمس البشر من بلوغ الكمال الروحي حيثئذ سمحوا لأنفسهم بالتمتع بكل شيء . والبرهان على أن البشر لم يعرفوا الخمر هو نوح الذي كان يجهل استعمال الخمر؛ لم يز أحدأ يستخدمه ولم يذقه هو شخصياً ، لذلك حدث له ما حدث من أذى من جراء عدم احتياظه . « ابتداء نوح بحرث الأرض وغرس كرماً وشرب من الخمر وسكر » (تك ٩: ٢٠-٢١) ، لا لأنه كان سكيراً بل لعدم خبرته في شرب الخمر باعتدال . ان شرب الخمر بعيد عن مرحلة الفردوس بقدر ما يتعد الصوم الشريف في قدم زمنه .

ونعلم أيضاً أن موسى لم يجرؤ على الإقتراب من جبل سيناء والصعود إليه إلأ بعد صوم طويل . لم تكن له الجرأة على الصعود إلى الجبل المدخن ولا الشجاعة على الدخول في وسط الغمام الذي غطاه (خر ٢٤: ١٨) لو لم يتسلح أولاً بالصوم . عن طريق الصوم تسلم الوصايا العشر التي دُفعت إليه على لوحين من حجر مكتوبين بإصبع الله (خر ٣١: ١٨) . هناك على الجبل أصبح الصوم تقليداً لشرعة الله (خر ٣٤: ٢٨) ، بينما في أسفل الجبل دفعت الشراهة الشعب إلى عبادة الأوثان ، لانه جلس يأكل ويشرب ثم قاموا كلهم يلعبون . البقاء على الجبل أربعين يوماً واجتهال عبد الله المؤمن ، كل ذلك لم يجد نقعاً مقابل يوم واحد من السكر والمريدة . وعباوة أخرى ، إن لוחي الوصايا التي أتت عن

طريق الصوم مكتوبة بإصبع الله حطمهما السكر، لأن النبي موسى قد حكم أن الشعب المستسلم للسكر لم يكن يستحق استلام الوصايا الإلهية (خر ٣٢: ١٩). بالنسبة للشعب الذي عرف الله الحقيقي والصانع له العجائب، لحظة واحدة كانت كافية ليعود ويفرق في وثنية المصريين. فاجعلوا إذاً أمامكم الأمرين وقارنوا بينهما: انظروا كيف أن الصوم من جهة يقرب الانسان إلى الله، بينما التمتع من جهة أخرى يقضي على خلاص نفسه.

لكن لتتابع طريقنا ونتقدم في التاريخ. من الذي أضعف موقف عيسو وجعله عبداً لأخيه؟ أليس هو طعام تناوله وباع من أجله بكرته لأخيه (تك ٢٥: ٣١-٣٤)؟ في المقابل، ألم يهد صموئيل لأمه عن طريق الصلاة والصوم (١ ملوك ١: ٧-١١)؟ ما الذي جعل شمشون الكبير لا يقهر، أليس هو الصوم الذي ساهم أيضاً في الخيل به؟ لأن الملاك أوصى به لأمه قائلاً لها: «والآن فاحتفظي ولا تشربي خمراً ولا مسكراً ولا تأكلي شيئاً نجساً لأنك ستحملين وتلدن ابناً يكون ناسكاً لله من بطن أمه إلى يوم وفاته» (قضاة ١٣: ٧).

الصوم يوئد أنبياء، يجعل المشرعين حكماء. هو كنز صالح للنفس، وسكناء فيها ضمانه. هو سلاح المجاهدين ورياضة المتبارين. هو الذي يعد التجارب ويحث على التقوى. يواكبه انتباه روحي متواصل. الصوم يوئد العفة. في الحروب يصنع الرجال، وفي السلم يعلم الهدوء. يقديس المكرس لله، يجعل الكاهن يتقدم أكثر في طريق الكمال، لأنه لا يمكن للكاهن بدون صوم أن يخدم العبادة الإلهية الحاضرة والسريّة فحسب بل حتى العبادة الناموسية التي لموسى أيضاً.

الصوم هو الذي أقلل إلينا لتلك الرؤية العظيمة، لأنه بعد أن طهر نفسه بالصوم مدة أربعين يوماً أهل لرؤية الرب في مغارة حوريب بقدر ما يستطيع للناس أن يروا الله (٣ ملوك ١٩: ٨-١٥). وقد أقام أبين الأرملة بعد صوم (٣ ملوك ١٧: ٢٠-٢٣) متغلباً هكذا على قوة الموت. من فمه، وبعد صوم

طويل، خرج الصوت الذي حبس السماء معاقباً الشعب بسبب معصيته، وكان ذلك لمدة ثلاث سنين وستة أشهر (١:١٧)، لأنه إذ أراد أن يطزي قلوب الشعب القاسية فضّل أن يحكم على نفسه معهم بالشقاء. لذلك قال «حي الرب... إنه لا يكون ندى ولا مطر إلا عند قولي». وفرض الصوم عن طريق الجوع الذي حلّ مع الجفاف من أجل تقويم الشعب الذي كان استسلم للملذات الجسدية واستفحل الضلال في عيشه.

وأيضاً كيف كانت حياة أليشع؟ بأية طريقة استضافته المرأة الشوثنية؟ فكيف أطعم الأنبياء الذين استضافهم؟ ألم تقتصر ضيافته على بعض البقول البرية وقليل من الطحين؟ لأنه عندما وضعت البقول خطأ في القدر تعرّض الآكلون للموت من جراء الأعشاب المسمة. فجاءت بركة النبي الصوام وأبطلت فعل السم (٢ ملوك ٤: ٣٨-٤٤).

بكلمة واحدة، لدى فحص الأمور، نجد أن الصوم كان مرشداً لجميع القديسين في سلوكهم وفقاً لوصايا الله.

هناك جسم طبيعي هو الأميانط (amiante) لا يحترق في النار ويبدو فيها وكأنه يصير فحمًا، لكن عندما يُنتشل منها ويغسل بالماء يزداد لمعاناً. وهكذا استبان مع أجسام الفتية الثلاثة لأنها كانت نقية. لقد وُجدوا في لهيب الأتون وكان أجسامهم من ذهب لا من لحم وعظام، وظهروا عند خروجهم أبهى مما كانوا عليه (دانيال ٣). طبعاً برهنوا على أنهم أسمي من الذهب لأن النار لم تشوه مظهرهم بل حفظتهم بلا عيب. فمن كان يستطيع أن يحتمل مثل هذا اللهب الذي كان يوقد بالنفط والزفت والزرجون حتى ارتفع فوق الأتون تسمعاً وأربعين ذراعاً وانتشر وأحرق الذين صادفهم حول الأتون من الكلدانيين؟ دخل الفتية الثلاثة في هذا الحريق بعد أن صاموا قبلاً فاستنشقوا اللهب وكأنه نسيم عليل منبى. لم تجسر النار على الإقتراب من شعر رأسهم لأنهم كانوا قد تغذوا بالصوم.

أما دانيال رجل الرغائب الذي طيلة ثلاثة أسابيع لم يأكل خبزاً ولا شرب خمرأ، فقد علم الأسود أيضاً أن تصوم عندما ألقى في الحب . وكأن جسمه مصنوع من حجر أو من نحاس أو من مادة جامدة أخرى لم تقوَ عليها الأسود بأسنانها . كما أن السقي يجعل الفولاذ أشد وأمتن ، هكذا بطريقة مشابهة تقوى جسم دانيال من جراء الصوم . جعله لا يقهر أمام الأسود التي لم تجرؤ أمامه حتى على فتح أفواهها (دانيال ٦) .

■ فضائل الصوم .

الصوم أحمد أجيح النار ، الصوم سدّ أفواه الأسود (عب ١١: ٣٣) . الصوم يرفع الصلاة إلى السماء وكأنه يعطيها أجنحة تخولها الطيران إلى فوق . الصوم يعمّر البيوت ، يُعنى بالصحة كأم . هو مربّب للشباب ومزوّج للمتقدمين في السن . مرافق حسن للمسافرين وضمانة لكل من يسكنه . لا يشك الرجل بامرأته عندما يراها تصوم ، كما لا تغار المرأة من رجلها عندما تراه يصوم بانتظام .

من الذي قضى على ثروته من جراء الصوم ؟ ... لا ينقص شيء منها عن طريقه . هو يريح الطبّاطخين قليلاً من العمل . تقتصر المائدة على الطعام القليل . لقد أعطي السبت لليهود « لكي يستريح فيه ثورك وحمارك وكذلك عبدك » (خر ٢٣: ١٢) . ليكون الصوم فرصة استراحة سنوية للتخادم من أتعابهم المتواصلة . يستريح الطبّاطخ قليلاً من عمله . يأخذ مدبّر المواثد مأذونية . لا يعود يسكب خمرأ في كأسك ، وتتوقف صناعة الحلويات المختلفة . ليسترح بيتك أيضاً من أتعابه المتنوعة ، من الدخان ، من رائحة الشوي ، من كل من يسرع هنا وهناك من أجل خدمة البطن وكأنه السيد الذي لا يكفيه شيء . كان من عادة جامعي الضرائب أن يريحوا الملمزين قليلاً في وقت من الأوقات من دفع الضريبة . فليحط بطنك استراحةً ما للقم ، ويلجأ محبة منا الى السكينة . هو الذي لا ينفك يطالب بالآكل وإن أعطي اليوم نسي غداً ما كان قد تناوله

البارحة . عندما يمتلئ يتكلم عن فلسفة الإمساك ، وعندما يفرغ ينسى ما كان قد علّمه في وقت شبعة .

الصوم لا يعرف ما هو الدّين . . . ابن الصوّام اليتيم لا تخنقه ديون والده ملتفة حول عنقه كالحيات . ومن جهة ثانية الصوم مناسبة للابتهاج . كما أن العطش يجعل الشرب مستحباً ، كذلك الصوم المسبق يجعل المائدة مستحبة والطعام أشهى ، لأنك إن اردت ان تجعل مائدتك لذيدة وشهية اعتمد الصوم الذي يخلق مثل هذا التبدّل . أما أنت ، الذي تتسلط عليك شهوة التمتع بالأطعمة ، فإنك تفقد بهذه الطريقة لذاتها وتقضي على المتعة واللذة من جراء شهوتك وهوى محبة اللذة . لا شيء يُشتهي ويتمتع به المرء بصورة متواصلة ولا يزدرى به في النهاية . كل شيء نادر مستحق التمتع به . هكذا شاء الخالق عن طريق التبدل في العيش أن يديم التمتع بما وهبنا من نعم . ألا ترى الشمس مستحبة أكثر بعد انتهاء الليل ؟ والاستيقاظ بعد النوم ، والصحة بعد المرض ، والمائدة أيضاً بعد الصوم ، أكان ذلك للأغنياء الذين تفيض عندهم المأكّل أم للفقراء القانعين بالطعام القليل ؟

إذهب في مثال ذلك الغني لأن التمتع بالمأكّل طيلة حياته سلّمه إلى نار جهنم (لوقا ١٦) . لقد أدين لا لظلمه بل لأنه كان يعيش في التمتع الدائم . لذلك أخذ يحترق في نار الأتون . والصوم يفيدنا ، ليس فقط من أجل الحياة الأبدية ، بل يفيد أيضاً، جسدنا البشري . ان الرفاهية الزائدة تجرّ سقطات لاحقة ، لأن الجسم يتعب ولا يعود يستطيع أن يحمل ثقل الأغذية الكثيرة . احذر ألا تزدرى اليوم بالماء حتى لا تشتهي فيما بعد على مثال الغني نقطة واحدة منه . لم يسكر أحد من الناس من شرب الماء ولا أصابه صداع بسببه ، ولا تعبت رجلاه أو يدها منه أيضاً .

إن عسر الهضم الذي يرافق عادة كثرة الطعام والشراب هو الذي يؤلّد أمراض الجسد الصعبة . وجه الصائم محتشم ، لونه لا يحمرّ بصورة فاقحة ، بل

يتزين بلون شاحب يعكس عفة صاحبه . عيناه هادئتان وكذلك مشيته . هو
رصين الطلعة لا يستجلب الضحك . أقواله مترنة وقلبه نقي . تذكر القديسين
القدماء الذين « طافوا هنا وهناك في جلود غنم معوزين مكرويين مذليين » (عب
٣٧:١١) . تمثل بحياتهم إن اردت ان تشترك في نصيبهم .

■ في العهد الجديد

من الذي أراح لعازر في أحضان إبراهيم (لوقا ١٦) ؟ أليس هو الصوم ؟
حياة القديس يوحنا السابق كانت صوماً مستمراً . لم يكن له لا سرير ولا مائدة
طعام ، لا أرض مفلوحة ولا حيوان يعلفه ، لا قمح ، لا رداء ولا شيء مما تحتاج
إليه الحياة الحاضرة . لذلك لم يوجد فيما بين الناس أعظم من يوحنا المعمدان .
وأيضاً الصوم هو الذي رفع بولس الرسول إلى السماء الثالثة (٢ كو ١٢: ٢-
٤) . يأتي على ذكره في تعداد أجزائه والافتخار بها (٢ كو ٦: ٥ و ١١: ٢٧) .
وعلى رأس ما أتيت على ذكره حتى الآن يأتي مثال ربنا يسوع المسيح نفسه ،
الذي عن طريق الصوم ، حافظ على الجسد الذي اتخذه من أجل خلاصنا .
بالصوم ردّ عنه هجمات الشيطان معلماً إيانا بهذه الطريقة أن نهى أنفسنا
وندرّبها من أجل مواجهة التجارب .

لقد أخطى الرب ذاته وتنازل مقدّماً هكذا فرصة لقاء مع الشيطان ومخاربه .
فإنه لم يكن بمقدور العدو أن يقترب عن طريق أخرى من للسيد بما أنه إله ، لو لم
يتنازل إلى مصاف البشر « مخلياً ذاته أخداً بصورة عبد » . وقد تناول طعاماً حتى
بعد القيامة لكي يثبت بهذه الطريقة ان جسده القائم له طبيعة مادية .

أما أنت الذي تحشو بطنك بالماكمل ، ألا تلاحظ رخاوتك من جراء ذلك ،
الا تنفوه بكلمة عندما ترى ذهنك يجف بسبب فقدان الأقوال الحمّية الخلاصية
المغذية إيانا؟ أم تجهل أن من يتخذ حليفاً ينجح في التغلب على العدو؟ هكذا
فإن الذي يضيف على جسده شحماً يقاوم الروح . كما أن الذي يجعل للروح

حليفاً مساعداً يسيطر على جسده . ذلك لأن الروح مناهض للجسد حتى انك إن أردت أن تقوي ذهنك لجأت إلى الصوم من أجل إخضاع جسدك . هذا ما يتفق مع كلام بولس الرسول الذي يقول : « إن كان انساننا الخارجي يفنى فالداخلي يتجدد يوماً فيوماً » (٢ كور ٤ : ١٦) ، أو « حينما أنا ضعيف فحيثذ أنا قوي » (٢ كور ١٢ : ١٠) .

■ وفي العهد القديم :

ألا تردري بالماكل التي بكثرتها تفسد ؟ ألا ترغب في مائدة الملكوت التي يهيئها الصوم دائماً في الحياة الحاضرة ؟ من الذي ، عن طريق كثرة الطعام واستمرار التمتع الجسدي ، نال مرة موهبةً روحيةً ؟ لقد لجأ موسى إلى الصوم مرة ثانية من أجل تقبيل الوصايا ثانية (خر ٣٤ : ٢٨) . لو لم يصم أهل فينوى حتى مع بهائمهم لما نجوا من وعيد الخراب (يونان ٣ : ٤ - ١٠) . من هم الذين تناثرت أعضاؤهم أجسادهم وعظامهم في الصحراء ؟ أليسوا هؤلاء الذين اشتبهوا أكل اللحم ؟ عندما قنعوا بالمن والماء الفائض من الصخرة انتصروا على المصريين وعبروا البحر على اليس ، ولم يكن فيما بينهم ذو علة . لكن ما ان اشتبهوا باللحم المطبوخة حتى عادوا إلى مصر ولم يروا أرض الميعاد .

ألا تخشى من التشبه بهم ؟ ألا ترعبك شهواتك التي ربما تحرمك من الخيرات السماوية ؟ النبي دانيال أيضاً لم يكن ليشاهد مثل هذه الرؤى لو لم ينق نفسه مسبقاً عن طريق الصوم (دانيال ١ : ٨ - ٢٠) . ان كثرة الطعام تجر نوعاً من خيالات تشبه غيوماً سوداء تقطع استنارات الذهن بالروح القدس . ان كان للملائكة طعام فما هو إلا الخبز كما يقول النبي : « أكل الانسان خبز الملائكة » (مز ٧٧ : ٢٥) . لا اللحم ، لا الخمر ولا أي شيء آخر يشتهيهِ ذوو محبة البطن .

الصوم سلاح أمام جنود الشياطين . « لأن هذا الجنس لا يخرج إلا بالصوم

والصلاة» (متى ١٧: ٢١). حسناته لا تعدّ. اما نتيجة الشراهة فهي الهلاك ، لأن التمتع بالمأكل والسكر وما اليها تجرّ مباشرة كل نوع من انواع الخلاعة التي تليق فقط بالبهائم . فالسكر يولد في النفس حب التمتع باللذات الجسدية والزنى ... بينما الصوم ، يساعد حتى الزوجين على نوع من الاتزان الجنسي ويحدّ من المبالغة في التمتع الجسدي ، مما يساعد كثيراً على الاستمرار في حياة الصلاة .

■ فضائله على صعيد أوسع :

لكن حسنات الصوم لا تقتصر على الابتعاد عن الأطعمة الشهية ، لأن الصوم الحقيقي هو في الابتعاد عن كل شر . الحد من كل عمل ظالم ، الابتعاد عن كل ما يحزن الآخر بل اعانته في كل ما يحتاج اليه (إشعيا ٥٨: ٦) . لا تصوموا وانتم في نزاع مع الآخرين . أنت لا تأكل لحماً بل ترغب في مأكل لحم أخيك . تمتنع عن شرب الخمر ، لكنك لا تقطع لسانك عن التجديف . تنتظر هبوط الليل لكي تفطر بينما تمضي النهار كله في المجامك . الويل للسكري من غير شرب الخمر . الغضب ما هو إلا سكر للنفس لأنه يُخرج الانسان عن صوابه كما يفعل فيه الخمر . الحزن أيضاً نوع من السكر لأنه يُظلم الفكر . والخوف أيضاً نوع آخر عندما لا يبرز مصدره . لذلك يقول المزمور : «نج نفسي من خوف العدو» (مز ٦٣: ٢) . وبصورة عامة الأهواء النفسية المختلفة التي تسبب اضطراباً للذهن يمكن اعتبارها نوعاً من السكر .

أنظر جيداً إلى الغاضب كيف يصبح من شدة غضبه كالسكران ، لا يعود يسيطر على نفسه ، لا يلاحظ حاله ويتجاهل وجود الآخرين . كما في حرب ليلية يضرب عشوائياً . ينفوه بكلام غير لائق ، يشتم ، يضرب ، يهدد ، يحلف ، يصرخ وكأنه على وشك الانفجار . تجنب مثل هذا النوع من السكر كما ولا تسكر أيضاً بالخمر . لا تفضل شرب الخمر على الماء ، حتى لا يسوقك السكر نفسه إلى الصوم . لا يمكن للسكر أن يكون مقدمة للصوم المبارك كما أن الطمع

لا يقود إلى العدالة . كذلك لا تستطيع عن طريق الخلاعة أن تصل إلى العفة وبصورة عامة عن طريق الرذيلة أن تصل إلى الفضيلة . الصوم له مدخل آخر . السكر يقود إلى الخلاعة ، أما القناعة فهي تقود إلى الصوم .

كما أن المباري يتدرب ويتروض مسبقاً ، كذلك الصائم يجب أن يتعفف من قبل . لا تخزن خمرأ في معدتك خلال أيام الفسحة الخمسة وكأنك تريد ان تعادل أيام الصوم وتضحك على صاحب الوصية . إن تعبك سيذهب باطلاً مجهداً جسديك دون ان تعوض له في أيام الإمساك . تخزن في جرة مثقوبة ، يتسرب منها الخمر ويجري في طريقه ، أما الخطيئة فتبقى وحدها في مكانها .

العبد يهرب من سيده عندما يضرب . وانت تنوي البقاء مع الخمر وهو يضربك كل يوم على رأسك ؟ ان افضل مقياس لشرب الخمر هو حاجة الجسد . ان تخطيت هذا الحد يأتي وجع الرأس ، تشاءب ، تستشق رائحة الخمر المخلل ، كل شيء حولك يدور ويضطرب . السكر يقود الى النوم الذي يشبه الموت أو الى الصحو الذي يشبه الحلم .

أتعلم يا ترى من هو مزعم أن يأتي وتتقبله ؟ هو الذي وعدنا بقوله « نأتي أنا وأبي وعنده نصنع منزلاً » (يوحنا ١٤ : ٢٣) . لماذا اذاً تسرع عن طريق السكر وتوصد الباب أمام الرب ؟ لماذا تفتح مجالاً للعدو حتى يقوّض تحصيناتك ؟ ان السكر لا يتقبل الرب . هو يطرد الروح القدس . كما أن الدخان يطرد النمل كذلك تهرب المواهب الروحية من السكر .

■ الخلاصة :

الصوم حشمة المدينة ، سكينه الأسواق ، سلام العائلات وضمانة لموجوداتنا . أتريد أن تتعرف إلى وقاره ؟ قارن بين الليلة الحاضرة والنهار المقبل ، تجد كيف أن المدينة تبدل وتنقل من السكينة الكلية إلى الضجة والاضطراب .

مُرجو أن يتشبه نهار غد باليوم الحاضر من حيث السكينة والوقار دون أن

يفقد شيئاً من بهجته . عسى أن يعطينا الرب الذي أهلنا للوصول إلى مثل هذا
اليوم ما يهب عادة للمجاهدين الأشداء فإنه بمواظبتنا على الجهاد والصبر سوف
يؤهلنا أن ندرك ذلك اليوم الذي يوزع فيه الأكاليل ، أن نصل ههنا إلى أيام ذكر
آلام الرب وفي الدهر الآتي إلى مجازاتنا حسناً على أعمالنا حسب حكم المسيح
العادل الذي يليق له المجد إلى الأبد .

آمين